خطاب جلالة الملك في افتتاح الأيام الدراسية التي ينظمها المجلس الأعلى للماء

الرباط- صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يترأس افتتاح أشغال المجلس الأعلى للماء، وبهذه المناسبة ألقى جلالته في بداية الاجتماع الكلمة التالية :

الحمد لله . والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة

يسرنا اليوم ان نترأس افتتاح الأيام الدراسية التي نظمها المجلس الأعلى للماء، وقبل ان نستدعي هذاالمجلس أخذنا على أنفسنا شخصيا ان نبحث نقط جدول أعماله، وان ننتقي من المشاكل المطروحة علينا فيما يخص الماء واستعمال الماء في هذه السنة النقط التي نعتبرها حيوية وبالأخص التي نعتبرها منطلقا لما بعدها من الأحقاب لعشرات وعشرات السنين، الشيء الذي يجعلكم تدركون ان ما ستقررونه أو تشيرون به أو تنصحون به لن يكون بالشيء السهل ولا بالشيء الخفيف، بل سيدفعنا وسيدفع أمتنا ويدفع خزينتنا إلى بذل مجهود جبار، وفي آخر المطاف سيكون قد كيف المعيشة والمناخ الطبيعي والبشري الذي سنتركه لأبنائنا وحفدتنا.

منَّ الله علينا ونحن من الدول القلائل التي منَّ الله عليها بهذه النعمة، منَّ الله علينا بان هدانا ونحن على أبواب القرن المقبل الى الاشكالية الآتية :

سيصبح عددنا سنة ألفين 40 مليون نسمة، وسندخل في عام ألفين الذي لا تفصلنا عنه سوى 12 سنة تلك الذبذبة المناخية التي تجعل المغرب يعرف كل 20 سنة أو 19 سنة بعض السنوات العجاف، فإذا علمنا اننا الآن في السنوات الخاصة الممطرة، واذا علمنا اننا سنكون 40 مليون في آخر القرن، واذا علمنا كيفية استعمال المياه التي حبانا بها الله سبحانه وتعالى فسنكون من بين الدول النامية أو السائرة في طريق النمو في حلبة السبق، وسيصبح أبناؤنا في مأمن من الجوع والفاقة.

لهذا، فالنقط الأربع التي ستنكبون عليها هي نقط مهمة جدا، وسأسردها باختصار مبينا ما لكل واحدة منها من خطورة بالغة ومن بعث على الحماس والنشاط والتفاؤل.

النقطة الأولى : سياسة البحيرات التلية أو الربوية، هذه السياسة يجب ان تكون عمدة صحيحة من الأعمدة التي سيقف عليها ويبقى واقفا عليها المجتمع البدوي والفلاحي لا لشيء الا لأن هذه البحيرات تمكننا من منافع شتى.

المنفعة الأولى : انه يمكننا ان نخلق هذه البحيرات بدون حصر «500 — 600 — 1000» ثانيا، فهي لا تتطلب من الخزينة أموالا باهضة.

ثالثا : ستمكن مجموعة من القرى او البلديات لتجتمع وتشترك في بناء تلك البحيرات التلية مؤكدة بذلك ان يد الله مع الجماعة، وان مناخ اي منطقة من المناطق التي تكون قد استمتعت بهذه البحيرات سيتغير حتما رأسا على عقب.

وهكذا حضرات السادة نرى انه في امكاننا في ظرف سنتين او ثلاث سنوات ان نقيم على أرض بلادنا

على الاقل 500 بركة او بحيرة تلية حتى يصبح المسافر في الطائرة التي تحلق فوق المغرب لا يرى الا البحيرات والاخضرار والسماء ثم السماء.

ثانيا لا تكلف القائم بهذه البحيرات تقنية واسعة، بل تكلفه فقط الطموح لجهته والأمل في تحسين ناحيته، وكأنني أرى في الشهور المقبلة حينما ننكب على عملية مهمة من هذا القبيل في اطار مخطط، كل يوم جمعة وكل يوم أحد شبابنا يذهب هو بنفسه ويعمل ذلك اليوم مع جميع العاملين بالقرى التي تجاور البحيرات، وبذلك يرجع الى الروح والفلسفة والمتعة للتربية الكشفية، فنحن الذين أدركنا حقيقة قيمة التربية الكشفية وعرفنا مصالحها وما في طياتها من نعم، نأسف عميق الأسف لكون أبنائنا وحفدتنا لا يعرفونها وربما لن يعرفوها.

هذه مناسبة أخرى لنجمع شبابنا، ولنجعله يساهم في بناء شيء من الأشياء لأنه من بين الشباب الذي يشارك في هذه **البحـــــيرات التلـــــية سيكـــــون.** منهم من سيكون من الوزراء النابغين، ومنهم من سيكون من العمال الأكفاء، ومنهم من سيكون من المهندسين، ومنهم من سيكون من المنتخبين.

فبهذه الطريقة سيمكننا ان نأخذ الشاب منذ بلوغه سن الرشد ونحن نجنده لأن يعمل لبلده ويبني لبلده، لن نجنده على طريق الحزب الواحد او الديكتاتورية، لا، فهذا تجنيد مرفوض، بل نجنده تجنيداً يخلق النشاط ويقوي رابطة الحياة التي تربط المرء بالأرض.

النقطة الثانية في جدول أعمالكم هي المذاكرة على سد مجعرة، ولست في حاجة إلى أن أبين لكم ان ما يعرفه الغرب بالخصوص من فيضانات ليس ناتجا عن واد سبو، ولكن السبب في هذا هو واد ورغة، وحينما خلفت والدي رحمة الله عليه في سنة 1961 كنا قررنا آنذاك — للحفاظ على التربة — خلق مصلحة «الديرو» لتعمل بالجبال الريفية حتى تحارب أكثر ما يمكن تلك الفيضانات التي تؤذي الخيرات والأشجار والغنم والبقر وبالأخص تؤذي التربة الصالحة للفلاحة، وكنا آنذاك اذا كانت ذاكرتي مازالت طيبة رأينا ان 60 هكتاراً من التربة الصالحة تضيع في منطقة الغرب وتذهب إلى البحر.

وبهذه المناسبة يسرني ان اتجه إلى كل من عمل في «الديرو» سواء باستمرار أو عمل فيه فترة محددة لأهنئه، لأنه قدم لبلده الخدمة اللازمة التي تتطلب النفس الطويل، بحيث ان سدَّ مجعرة حسب المعلومات التي أتوفر عليها كفيل بان يسقي 120 ألف هكتار، فلا حدود لتنوع الأصناف الفلاحية هناك، فيمكن ان يعمل قصب السكر والبرسيم والماشية وغير ذلك.

وأخيرا علمت انه سيتطلب تكاليف هامة جدا تقدر بحوالي 500 مليار.

وسأعطي أوامري لمن سيرأس لجنة وادي مجعرة، وأظن أنه وزير التخطيط بنفسه — بان يطرح النقاش مفتوحا حرا حتى وان اقتضى الحال ان نزيد يوما أو يومين في اجتماع المجلس الأعلى للماء، لأنه كما قلت هذه مسائل لها تبعاتها على مدى الأحقاب والسنوات، **فهناك** مدرستان الأولى تقول : بسد مجعرة، والثانية تقول : بسدود متوسطة أو كبيرة متعددة لا تكلف نفس الثمن ولا تتطلب زمنا طويلا، ولا يمكنني شخصيا ان أختار اذا لم تكن لدي العناصر التقنية الفلاحية والهندسية وحتى من حيث الماء، فلا يمكنني ان اقرر في هذا الباب الا اذا وصلنا الى تكافؤ المدرستين والى حاجتهما الى حكم، فهناك مدرستان واحدة تقول بسد واحد كبير، واخرى تقول بسدود مختلفة على الناحية الجنوبية من الريف، كيفما كان الحال وسواء كانت هذه المدرسة او تلك هي التي على صواب، فالمهم هو ان **نعرف** ماذا سنعمل بالماء، فهذا شخصيا اخترته لا أريد ان يبقى ذلك

الماء مقتصرا على الشمال او تحت الشمال، لأنه والحمد لله ناحية الغرب مسقية بالأمطار وليست في حاجة لهذه الأمطار، فهناك سد وادي المخازن، وهناك سدود تليه ستبنى فيما بعد، ولكن الكميات التي ستكون في مجعرة من واجبنا ان نحولها الى الأراضي الجنوبية حتى يتمكن شمال المغرب الذي له كميات مهمة من الأمطار ان يعين جنوب المغرب الذي هو في حاجة دائمة الى مياه للشرب والسقي.

ففي كلتا الحالتين لا ينبغي ان يبقى الماء فقط في منطقة مجعرة، بل يجب ان يكفي المنطقة، والفائض نمد به شبكة الأراضي الواقعة بين بني ملال الى أقصى الشرق الى شاطىء البحر وهو أقصى الغرب.

فلتفتحوا المذاكرة واستعملوا مخيلتكم وافكاركم، واذا اتفقتم على اختيار معين فسأبارك ذلك، اما اذا احتجتم الى التحكيم فسنطلب من الله سبحانه وتعالى في تلك الحالة التوفيق والتسديد ليكون التحكيم مطابقا كل المطابقة للمصلحة الحالية والآجلة.

هناك فقرة أخرى داخلة في هذا الموضوع قبل ان ننتقل الى النقط الأخرى وهي ان الاراضي الشمالية للريف الى البحر غير صالحة كما تعلمون نظرا لحاجتها لعمل جبار من الناحية الفلاحية.

وبالطبع هناك الفلاحة الضرورية وستلزمنا استثمار رجل الشمال وخيرات الشمال ولكن المساحة ضيقة، وهناك كذلك من يفكر ولكن هذا التفكير ليس حلم شاعر بل تفكير قائم على رجليه، اذا كان للتفكير رجلان، يجد رجليه صحيحتين وواقفتين وقفة ثابتة، وهو خزن جميع الأمطار التي تنزل في موسم الشتاء في خزانات، ثم جمعها في نفق يخترق حزام الريف بعد ان يعطي للشمال ضرورياته، ويزيد ايضا لنواحي شرق المغرب الذي يكون في حاجة دائمة الى المياه، ولا سيما هذا الشرق مهم لتربية المواشي، وأنا لا أتكلم عن ناحية بركان واحفير، فتلك النواحي يغطيها سد محمد الخامس، ولكن جنوب وجدة وحتى فكيك بما فيها ناحية تندرارة وكرسيف حيث الناس في حاجة الى الماء.

وأعتقد ان هذه الكيفية ستكون طويلة نوعا ما وتتطلب تقنيات، لأن النفق ليس شيئا سهلا، ولكن سبق وان حفرنا انفاقا سواء الخاصة بالماء أو بالسكك الحديدية بحيث إن لنا في هذا الميدان التقنيات الكافية والتجربة الكافية، ولهذا أريد أن تدرج النقطة في جدول الأعمال الخاص بلجنة مجعرة، لأنها من ناحية الريف وما يجاورها.

النقطة الثالثة هي استخدام المياه المستعملة، وأنا أفضل ان نؤخر كيف نستخدم المياه التي استعملت.

فالماء كما نعلم يصلح للشرب وللفلاحة، وأصبح الآن بالنسبة للقطاع الصناعي عنصرا مهما جدا، ولدينا لحد الآن مثال عن تجارب بعض الدول وخاصة منها الدول المتاخمة لنهر الراين والذي توجد حوله خمس أوست دول عندما تشرب من مياهه تغيره مرة أخرى لتشرب منه الدولة الأخرى، وقد تبين في بعض الأحيان أن المياه المستعلمة للتنظيف والحاجات الخاصة بالبشر اذا أمكن ان تستخدم للصناعة فانها ربما بسبب الجراثيم أو المكروبات لا تصلح تماما للشرب وللري، لأننا نجد نفس المكروبات بالأخص في الخضر والبواكر.

فعلينا إذاً ان ننكب على هذه المشكلة، وشخصيا أعتقد انها مشكلة ظرفية، لأن التقدم في التقنيات سيجعلنا في السنين المقبلة قادرين على استبعاد ثلاثة ارباع او أربعة أخماس أخطار الماء المستعمل، ولكن يجب علينا الآن ان نشرع على الاقل في الدراسات لكي يصبح في الامكان الاستفادة من المياه المستعملة في الصناعات التي هي في حاجة الى الماء الذي لا يصلح للشرب أو الري.

اما النقطة الرابعة لعملكم فهي تقنين استعمال الماء، فالماء من الخيرات التي جعل منها الله سبحانه وتعالى شرط الحياة «وجعلنا من الماء كل شيء حي». والماء هو مفتاح ليس للبشر والماشية والحيوانات الضارية منها وغير الضارية، الداجنة وغير الداجنة فقط، بل انه ضروري حتى لتلك الحشرات الصغيرة التي لا يمكن بدونها لغاز الازوت ان يصعد او يهبط، والتي بدونها لا يمكن للنظام الايكولوجي للأرض الا أن يختل، وقد جاء في القرآن الكريم «وانبتنا فيها من كل شيء موزون...» والتوازن هنا هو توازن البيئة، واعطاء الماء لكل من يستحق، لأن الماء عادة ما يذكرنا بالانسان والماشية وحدهما، ونهمل بتاتا الحشرات التي تعتبر ضرورية لنمو النباتات، ولتنظيف الأرض وتكوين المناخ الذي عاش فيه الانسان منذ ان خلقه الله.

فهذا يقتضي منا ان نكون حريصين على مياهنا، وحريصين على أن لا تضيع، وحتى اذا ضاعت نكون قد استخرجنا منها اكثر ما يمكن من الفوائد، بالاضافة الى ذلك فان آخر فائدة يمكن ان نستفيدها من الماء الذي يصب في البحر، فهي تلك المتعلقة بالاسماك، لأن الاختصاصيين يقولون : ان السمك يتكاثر في الاماكن التي يكون فيها الماء عذبا، ولذلك فان على سياسة تخطيط المياه في بعض المناطق التي ينقص فيها السمك ان تراعي ذلك، وأعتقد شخصيا ان المياه العذبة وخاصة اذا وجدت فيها كميات من الفوسفاط تساعد على تكاثر السمك بكيفية لا تتصور، وربما هذه تجربة يمكن ان يقوم بها سكان المناطق الشمالية في البحر الأبيض المتوسط الذي فقد كل خيراته الطبيعية من السمك، وهذا ليس في بلادنا فحسب بل في المنطقة كلها.

هذه حضرات السادة كما نراها وكما ترونها النقط التي ستنكبون على دراستها وهي نقط متماسكة بعضها بالبعض، وتكتسي ولله الحمد مزيتين :

المزية الأولى : انها في حد ذاتها نقط مهمة جدا، والمزية الثانية : انها اذا درست بامعان تكون أرضية ومنطلقا صحيحا وثابتا لكل ما يمكن ان ننبيه على حسن استخدام الماء المستعمل وعلى جلب الماء من الشمال الى الجنوب بأي كيفية كانت، لأن ذلك تمليه ضرورة التكافؤ، لأنه إذا كان التكافؤ قائما بين المواطنين فانه يجب ان يكون قائما كذلك بين الشرق والغرب والشمال والجنوب حتى يعطي كل ذي خير لمن له خصاص في ذلك الخير، وقد رأينا كذلك مصلحة البحيرات التلية أو الربوية اذا صح هذا القول.

والنقطة الأخيرة التي أريد ان أركز عليها هي انه لاتفصلنا عن عام 2000 سوى 12 سنة نعتبرها ولله الحمد أعواما خصبة، لأنها تدخل في اطار التحليل الذي قمنا به، فعلينا الآن شيء واحد هو ان نكون على بينة تامة من مدخراتنا من الماء وأصنافه، أما المدخرات السماوية فهي بيد الله، وإنا لنرجو رحمته سبحانه وتعالى في كل آن وحين، فبالنسبة للمياه الأخرى كالأودية والأنهار يجب ان يوضع حد لتبذيرها سواء بالخزانات الكبرى الهائلة المعتبرة، أو بالبحيرات التلية، وعلينا ان نكون على بينة من المياه الأرضية التي هي بنفسها تنقسم الى قسمين الأرضية التي يسهل الوصول اليها والمياه الجوفية التي يمكن ان تكون حتى في عمق 1500 متر أو كيلو متر.

هذه كلها مياه مدخرة، فعلينا اذن ان نكون على بينة تامة من مدخراتنا من المياه حتى يمكننا ان نحدد من الآن ما اذا كانت مياه الآبار الخفية صالحة للفلاحة الفلانية أو الفلانية، وان المياه الجوفية لا تصلح الا للفلاحة التي هي كثيرة المدخول وتتطلب قدرا من المياه غير مبذر للثروات المخزونة منذ آلاف القرون تحت الأرض.

لقد سبق لنا منذ مدة ان تذاكرنا حول موضوع السدود وتساءلنا هل نستعمل السدود للسقي ونترك الماء للشرب وحده أو نأخذ من السدود الماء للشرب ونفكر فيما بعد في مسألة الري، لقد طرح هذا الموضوع

وما زال مطروحا، لاسيما وأنكم تعلمون ان الخزان عمره كعمر الانسان، فمعدل عمر كل خزان أو سد هو 50 سنة على أكثر تقدير، فيجب اذن كلما بنينا سدا ان نستثمره الى أقصى حد، لأنه بعد 50 عاما ستضعف مردوديته.

ان المحافظة على السدود وعلى البحيرات التلية وعلى المياه وعلى هذا كله مفتاحه غرس الأشجار، وقد كنا في يوم من الأيام في الستينات و لا أقول في أوائل عهدي نفتخر بأن المغرب يغرس سنويا 22 مليون شجرة بواسطة الانعاش الوطني، وأخشى اننا لم نعد نغرس هذا العدد من الأشجار أو ربما حتى نصفه منذ مدة، ولكن الخزان أو البحيرة التلية لا يمكنها ان تعطي أكلها ونتائجها كاملة حتى من ناحية المنظر والنزهة الا اذا كان هناك تخطيط لغرس الأشجار قبل بنائها.

وكما قلت لكم في افتتاح كلمتي علينا ان نحمد الله سبحانه وتعالى، لأن اجتماعنا اليوم ليس اجتماعا أكاديميا، فقد خرجنا من الفترة الاكاديمية ووصلنا الى فترة التطبيق.

بالطبع الانسان يتعلم كل يوم ويربح المعلومات كل يوم، لا أقول : اننا وصلنا الى أقصى معارفنا في هذا الموضوع، ولكن وفاضنا عامر والحمد لله، حتى اذا ذهبنا الى عملنا وجدنا حقائبنا مملوءة ليس بالكتابة فقط، ولكن مملوءة أولا بالواقع، وقائع علمية قابلة للتطبيق في الحين، ووقائع تجعلنا نحمد الله على ما مضى وعلى ما نعيش فيه وعلى ما وعدنا به سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى لا يخيب ظن المسلمين المؤمنين، ولا يخيب ظن أي صنف من عباده.

ان الله لم يخلق الماء لبشر دون بشر ولا لجنس دون جنس، ولا للون دون لون، ولا لقارة دون قارة، ولا لدين دون دين، بل خلقه سبحانه وتعالى لعباده البشر.

فهنيئا لنا معشر المغاربة، فاذا كنا قادرين سنويا وبجلسات مثل هذه ان نأتي بلبنة أو بلبنات للتدعيم — لا أقول لبناء راحة البشر وطمأنينته والتقليل من تساؤلاته ونحن على عتبة القرن المقبل — فسيكون بلدكم وبلدي وطنكم ووطني المغرب قد أدى مرة اخرى رسالته التاريخية في سبيل الحضارة والمدنية.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الخميس 10 شوال 1408 — 26 مايو 1988